

تفسير ابن كثير

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ^ق أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ

ثم قال : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ماء الأرض ذهبا ولو افتدى به) أي : من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدا ، ولو كان قد أنفق ماء الأرض ذهبا فيما يراه قربة ، كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان - وكان يقري الضيف ، ويفك العاني ، ويطعم الطعام - : هل ينفعه ذلك ؟ فقال : لا ، إنه لم يقل يوما من الدهر : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . وكذلك لو افتدى بماء الأرض أيضا ذهبا ما قبل منه ، كما قال تعالى : (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) [البقرة : 123] ، [وقال (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة)] [البقرة : 254] وقال : (لا بيع فيه ولا خلال) [إبراهيم : 31] وقال (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) [المائدة : 36] ، ولهذا قال تعالى هاهنا : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من

أحدهم ملاء الأرض ذهباً ولو افتدى به (ولو افتدى به) على الأول ، فدل على أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال : إن الواو زائدة ، والله أعلم . ويقتضي ذلك ألا ينقذه من عذاب الله شيء ، ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً ، ولو افتدى نفسه من الله بملاء الأرض ذهباً ، بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها . وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثني شعبة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء ، أكنت مفدياً به ؟ قال : فيقول : نعم . قال : فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر أهلك آدم ألا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن تشرك " . وهكذا أخرجاه البخاري ومسلم . طريق أخرى : قال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أي رب ، خير منزل . فيقول : سل وتمن . فيقول : ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرار - لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى

بالرجل من أهل النار فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : يا رب ،
شر منزل . فيقول له : تفتدي مني بطلاع الأرض ذهبا ؟ فيقول : أي رب ، نعم . فيقول :
كذبت ، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل ، فيرد إلى النار " . ولهذا قال : (أولئك
لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أي : وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ،
ولا يجيرهم من أليم عقابه .